

International Progress Organization



Organisation internationale pour le progrès

A-1010 VIENNA, KOHLMARKT 4 • TEL.:43-1-5332877 • FAX: 43-1-5332962 • info@i-p-o.org • www.i-p-o.org

جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء
+009525+ 1 8001 4500 051 X ΕΕ0QIΘΣΕ0
UNIVERSITÉ HASSAN II DE CASABLANCA



البروفيسور هانس كوكلر

قوة الفهم وهشاشة العقل
حول معضلة العمل الجماعي

[Die Macht des Verstandes und die Fragilität der Vernunft:
Zum Dilemma kollektiven Handelns]

ترجمة: د. حميد لشهب، فيلدرخ

الدار البيضاء, 12 نوفمبر 2025

I.P.O. ONLINE PAPERS



جميع الحقوق محفوظة لهانس كوكلر

أولاً

لماذا لم تتعلم البشرية - على ما يبدو - شيئاً من التاريخ؟ - لماذا تنخرط الدول والشعوب في مغامرات حربية متجددة تنتهي بالفشل؛ في حملات تهدف إلى "تغيير النظام" لكنها في النهاية تُخلف وراءها فوضى عارمة وتؤدي المعتدي نفسه؟ - كيف يقع الحكماء غالباً تحت تأثير الأقوى؟ قصص أفلاطون وطاغية سرقوسة (ديونيسيوس الأول)، وعزرا باوند وموسوليني، وهيدغر وهتلر، وجورج برنارد شو وستالين، ولويس رينسر وكيم إيل سونغ، على سبيل المثال لا الحصر، تشهد بوضوح على انحرافات العقل وتشوشه عندما يتسلل المستبدون أو مغتصبو السلطة إلى مجال الفكر أو يظهر أمام المفكرين. لماذا، كما يُثبت التاريخ بلا رحمة، في أوقات الأزمات والحاجة، لا يستطيع سوى قلة قليلة - سواء كانوا من أهل الحكمة أم لا - مقاومة رغبة الصراخ مع الذئب؟ كيف يُهدد التقدم التكنولوجي الذي أتاحه العلم، كما نرى الآن بفرع، بنهاية الحضارة، بل بخطر تدمير الجنس البشري؟

قد تكمن الإجابة على هذه الأسئلة في التفاوت بين الفهم والعقل، أي في الفجوة المتزايدة بين إنجازات العقل وتأخر تطوره، مع استمرار التقدم التكنولوجي. وقد حدّد أرنولد توينبي هذا التطور قبل عصر الإنترنت بوقت طويل في كتابه الرائع opus magnum "الإنسانية وأمننا الأرض"، وأدرك الخطر المحقق¹.

في سياق اللغة الألمانية، يُعدّ التمييز المفاهيمي بين "الفهم" و"العقل" الذي طرحه كانط في كتابه المهم "نقد العقل الخالص"، بالغ الأهمية لفهم معضلة التقدم. وقد شكّل هذا التمييز الكانطي أيضاً أسلوب الكلاسيكية الألمانية، كما يتضح من كلمات ليوناردو لفيلهلم Lenardo an Wilhelm في رواية "سنوات فيلهلم مايستر": "واتركوا لي الوقت والفهم، وإن أمكن، العقل"².

¹ *Menschheit und Mutter Erde: Die Geschichte der großen Zivilisationen*. Düsseldorf: Claafien, 1979. (Erstausgabe: *Man Kind and Mother Earth: A Narrative History of the World*. Oxford University Press, 1976.)

² Goethe, "Wilhelm Meisters Wanderjahre" (erste Fassung 1821, endgültige Fassung 1829), in: *Wilhelm Meisters Lehr- und Wanderjahre*. München: Anaconda [Penguin Random House], 2023, S. 786. (Kursivsetzung H.K.)

إن الفهم هو القدرة على وصف عالم الظواهر وإدراكه نظرياً بمساعدة التصنيفات، أي ما يُسمى بالمفاهيم "الخالصة" التي تُشكل هيكل تفكيرنا بشكل أولي. وتشمل هذه الأخيرة [المفاهيم الخالصة]، بالخصوص، مفاهيم وصيغ المنطق والرياضيات. وطبقاً لكانط، تُشكل التصنيفات أساس الإدراك؛ إنها تُشكل أساس كل معرفة إيجابية، وبالتالي أساس فهمنا للعالم، وانطلاقاً من هذا فإنها أساس تطور التكنولوجيا. على عكس "مفاهيم الفهم"، فإن أفكار العقل الخالص، التي تقع بشكل قاطع على مستوى مختلف، ليست أساسية للمعرفة، بل هي تنظيمية. إنها أساس رؤية شاملة للواقع، إلا أنها تفتقر إلى صرامة العلوم الإيجابية (التجريبية)، التي تقتصر على الظواهر. بمعنى ما، إنها نقاط توجه عامة - فلسفية - يُطلق عليها كانط أفكار العالم والروح والله. وعلى الرغم من أنها لا تُشكل معرفةً بالواقع الظاهري، إلا أنها تُتيح لنا توجيهاً عاماً فيما يتعلق بالواقع، الذي - كما يُعرّفه كانط - يبقى مخفياً عنا كـ "شيء في ذاته". وبهذا المعنى تحديداً، تُعتبر أفكار العقل الخالص "تنظيمية". وهنا يأتي دور بُعد الأخلاق - الفعل الأخلاقي - الذي يُفصل كانط أسسه في "نقد العقل العملي"، وكذلك فيما يتعلق بأفكار العقل الخالص، والتي تُقابلها - في سياق الفعل الأخلاقي - "مسلمات العقل العملي" الثلاث: الحرية، والخلود، ووجود الله. وكما هو الحال مع الأفكار، فإنها ليست معرفة إيجابية بواقع الوضع الواقعي المعني بالأمر، بل حقائق يجب افتراضها (أو إلزامها) إذا أُريد للفعل الأخلاقي أن يكون ذا معنى.

يمكن فهم الضرورة المطلقة (أو الواجب المطلق) *kategorische Imperativ*، المُصاغة على هذه الخلفية - "تصرف بطريقة تجعل مبدأ إرادتك صالحاً دائماً كمبدأ تشريعي عالمي" - كأساس لأخلاقيات يُوجّه فيها العقل العملي العمل نحو الكلّ الأسمى. ويشير هذا إلى مبدأ الصالح العام واتساق الفعل الأخلاقي في حد ذاته، فردياً وجماعياً، وكذلك إلى الأفق الميتافيزيقي للعالم واللانهاية، الذي تفتحه الأفكار التنظيمية للعقل الخالص ومسلمات العقل العملي.

ثانياً

كل هذا ينفيه بشكل أساسي أسلوب تفكير يتجه نحو "منطق القوة" (لا ينبغي الخلط بينه وبين المنطق الشكلي!) كما نعرفه من الواقع السياسي. منطق القوة، المنسوب حصرياً إلى العقل، هو منطق خاص. أما العقل بالمعنى الموصوف أنفاً، فهو عالمي، موجه نحو البشرية بحد ذاتها، على خلفية الواقع الكلي الذي تُشير إليه الأفكار. إن إرادة الجماعة الأحادية الجانب، "أحادية البعد"، لتأكيد الذات، والتي تُحدد

الحياة السياسية اليومية في جميع أنحاء العالم، يُمكن أن تُهدد بقاء النوع البشري ككل. إذا كان مجموع الجمعيات المُنظمة دولياً، كلٌّ منها لنفسه، لا يتصرف وفقاً للضرورة المطلقة، بل وفقاً لأولوية مصالحه الوطنية فحسب، فإن ما يُشار إليه اليوم بـ "سيادة القانون الدولي *international rule of law*" يُستبعد منذ البداية. وفي ظل هذه الظروف غير المُستغرب - إذا ركّزت الدول فقط على تأكيد ذاتها وتجاهلت العواقب المترتبة على ذلك بالنسبة لها ككل وعلى نفسها - أن يكون التاريخ سلسلة من الحروب المتتالية.

للأسف، من الحقائق التجريبية أن البشر، وخاصةً في السلوك الجماعي، يميلون إلى تجاهل العواقب أو كبتها. تُقضي الاستراتيجية الكامنة وراء تأكيد الذات دولياً إلى وحشية سياسة الترهيب المتبادل ("الردع")، والتسلح حتى النخاع، وهو تسلح "يضمن" به المرء الدمار المتبادل ("التدمير المتبادل المؤكد" *mutual assured destruction*). ومع ذلك، فإن السلام، كغياب الحرب فقط، المُفرض بقوة التكنولوجيا، هو حتماً هشّ ومُشكوك فيه أخلاقياً. إن ما يمكّنه العقل ويجلبه، أي التراكم المستمر لإمكانية التدمير المادي، أي دون تصحيح العقل الذي يضع دائماً الهدف النهائي في الاعتبار - الكل الأكبر - هو حياة تحت سيف ديموقليس.

عند دراسة ثنائية الفهم والعقل في السياسة، من المهم أيضاً مراعاة التناقض بين "العقلانية الغائية" للفعل الفردي في الحياة اليومية (إلا إذا طغت عليها عاطفة جامحة أو إدمان)، والسلوك غير العقلاني في كثير من الأحيان للفرد نفسه كعضو في جماعة ما (وليس فقط في حالات استثنائية!)، كما أوضح غوستاف لوبون³، من بين آخرين، على نحوٍ نموذجي. وأشار ألفريد أدلر، في تحليله للوضع في النمسا خلال الحرب العالمية الأولى، إلى "شعورٍ بعدم المسؤولية ينشأ في الحركات الجماهيرية"⁴. وبالإشارة إلى الحاضر، قدمت ماريا رشيد دراسة حالة مثيرة للإعجاب حول ظاهرة الحماس للحرب.

³ *Psychologie des foules* (1895).

⁴ *Die andere Seite: Eine massenpsychologische Studie über die Schuld des Volkes*. Wien: Verlag von Leopold Heidrich, 1919, S. 14.

فالإحياءات والهستيريا الجماعية ظاهرة يومية، وخاصة في عصر الإنترنت، كما أشرتُ في عام 2011 مع بداية "الربيع العربي"⁵.

ترتبط ثنائية الفهم والعقل أيضًا بما أسميه حالة الفصام الأخلاقي، حيث تتجلى بوضوح هشاشة العقل كأداة تصحيحية لا غنى عنها للفهم التقني الوظيفي. وتبدو هذه الحقيقة الفصامية على النحو التالي: ينبغي أن يسترشد الفعل الفردي - وهو أمرٌ يُرَجَّح وجود إجماع عالمي عليه، بغض النظر عن جميع الاختلافات الدينية والثقافية والأيدولوجية، بمبادئ أخلاقية عالمية، وأن يكون في هذا الصدد متسقًا وخاليًا من التناقض، بغض النظر عن كيفية تأسيس الأخلاقيات المعنية، سواءً من خلال المبدأ التوليدي الشكلي للأمر القاطع أو كأخلاقيات قيمة مادية، غالبًا ما تكون مستمدة من الدين والميتافيزيقا⁶.

في المقابل، عند العمل من أجل المصلحة الوطنية، تُتجاهل المعايير الأخلاقية العالمية عملياً (بغض النظر عن صحتها بالمعنى الأمثل). المهم هو الفعالية وحدها، أي أفضل حماية ممكنة للمصلحة الجماعية للدولة المعنية، مهما كان تعريفها، بالإضافة إلى تعزيز القوة في مواجهة جميع المنافسين الآخرين في الصراع العالمي على النفوذ والموارد. وعلى الرغم من أن ميثاق الأمم المتحدة يُقنن هذا التناقض؛ فإنه يجعل الفوضى العالمية مقبولة اجتماعيًا، إلى حد ما، بأحكامه التي تسمح لبعض أقوى الدول (وجميعها تمتلك قدرات نووية) بمنع أي قرار ملزم من جانب المنظمة العالمية لضمان السلام أو استعادته، حتى لو كانت هي نفسها المعتدية. وبالتالي، فيما يتعلق بهذه الدول، لا توجد حدود قانونية لإنفاذ المصالح الوطنية، التي تُنفذ في الحالات الأكثر تطرفًا بقوة السلاح. هذا هو الفضاء الحر أخلاقيًا لسياسة القوة الذي يتحدى جميع ضرورات العقل العملي. لا ينبغي أن يكون مفاجئًا أن ينتشر الإحباط عندما يتعلق الأمر بالأهداف النبيلة لمجتمع الشعوب الذي يُفترض أن تجسده الأمم المتحدة - وخاصة بين الأضعف، والذين يفتقرون إلى وسائل القوة التي يمكنهم من خلالها المشاركة في ترتيب التسلسل الهرمي بين الدول.

⁵ Kochler, "The New Social Media and the Reshaping of Communication in the 21st Century." Resources: Faith, Culture, Empire, Peace for Life – A People's Forum and Movement for Global Justice and Peace, Manila, 25. Oktober 2011, <http://www.peaceforlife.org/resources/faithresist/2011/11-1025-koechlernewsocialmedia.html>.

⁶ Vgl. Max Scheler, *Der Formalismus in der Ethik und die materiale Wertethik: Neuer Versuch einer Grundlegung des ethischen Personalismus*. Halle a. d. S.: Max Niemeyer, 1916.

يبدو لي أن هذا الفصام في السياسة يُسبب تناقضا في سلوك العديد من المواطنين المُحِبِّين: قد يكون شخصا "صالحا" وأخلاقيا في بيئته الشخصية - بروح قصيدة غوته الكلاسيكية: "ليكن الإنسان نبيلًا، مُفيدًا، وصالحًا! Edal sei der Mensch, hilfreich und gut"⁷ - كعضو في جماعة، دولة، لكنه مع ذلك يُقرّ بانعدام القانون في أفعال الدولة، وخاصةً عندما يتعلق الأمر بدولته: "أكان الأمر على صواب أم خطأ، يا وطني Wright or wrong, my country". هذا كل ما في الأمر بشأن مشكلة الوطنية المُبتدلة في فضاء الواقعية السياسية العالمية المُتحررة من الأعراف.

ما هو مثير للقلق - ومثير في نفس الوقت - في هذا السياق هو أن السياسي الذي، وفقًا للمبدأ المذكور سابقًا " (فكر في النهاية *respice finem*، أي في عواقب أفعالك) وقاوم عواطف اللحظة التي تستسلم لها الجماهير في كثير من الأحيان، يعاقب في معظم الحالات فيما يسمى بالنظام التمثيلي للدولة الحزبية بسبب التزامه بالمبادئ وأفعاله الموجهة بالعقل: لا يتم إعادة انتخابه. بكلمات دونالد ترامب التهديدية: سيتم ترشيحه للرئاسة⁸ *he will be primaried*. وهكذا، في السياسة "الصغيرة" (المحلية) و"الكبيرة"، تُستبدل الانتهازية قصيرة النظر بالالتزام الراسخ بالصالح العام (ليس فقط فيما يتعلق بالحاضر، بل أيضا بالأجيال القادمة). وتزداد المشكلة خطورة في مسائل السياسات البيئية وسياسات السلام: فكثيرا ما يحتفل الناس بانتصار جزئي دون مراعاة الثمن الذي ستدفعه الأجيال القادمة.

ثالثا

بالإضافة إلى التطور الجامح لتكنولوجيا الأسلحة، مع تزايد قدرتها على التدمير (غالبًا مع خفض تكاليفها المادية)، فإن التحدي الأكبر للعقل، الذي ينظر إلى الكل - أي مستقبل واستمرار وجود النوع كمجتمع متحضر، أي كشكل حياة يحدده الوعي، وبالتالي يؤدي مسؤوليته تجاه جميع أشكال الحياة على الأرض - هو التقدم السريع في تطوير ما يسمى بالذكاء الاصطناعي. وهنا يكمن الخطر، كما يتضح من مثل تلميذ الساحر: أن فقدان السيطرة على "الآلة" (الخوارزميات) يعني فقدان البشر أيضًا السيطرة على أنفسهم - أي عندما يُفوضون وظيفة التفكير إلى "الآلة"، أي إلى عمليات حسابية

⁷ *Das Gottliche* (1783).

⁸ D.h. er wird einer „Vorwahl“ (*primary*) unterzogen, bei der sein eigener Präsident einen Gegenkandidaten unterstützt.

متزايدة التعقيد ومتطورة باستمرار (الخوارزميات) - تُعرف أيضًا باسم "الذكاء الاصطناعي ذاتي التعلم" - وبالتالي يُخاطرون بأن يصبحوا هم أنفسهم روبوتًا (كائنًا يتحكم فيه الروبوت). إن ما ابتكره العقل - الذكاء التقني الرسمي المتجلي في المنطق والرياضيات - يُقوّض العقل تدريجيًا، ويحرّمه من فرصة تقييم أنماط التفكير والجدال المختلفة من منظور نقدي ("التأمل الذاتي") والاختيار باستقلالية ومسؤولية بين خيارات متعددة فيما يتعلق بمستقبل عالمنا. لم يعد البشر قادرين على مواكبة سرعة قدرة الحوسبة للألات، وبالتالي لم يعد بإمكانهم التدخل في الوقت المناسب وبفعالية، كما علمنا منذ فترة من تجارب الشطرنج ("الإنسان ضد الحاسوب العملاق"). (أشار إيلون ماسك إلى هذا الخطر مُبكرًا، ولكنه الآن - مدفوعًا على ما يبدو بالسعي وراء القوة وسعيه لعدم التخلف عن الركب في سياق الذكاء الاصطناعي - انضم إلى الموجة بـ "جروك Grok").

يجب دحض خرافة واحدة في هذا السياق: إن ما نتنافس معه، إن جاز التعبير، ليس وعيًا، ولا حتى شكلاً جديدًا من العقل. (وقد أوضح بيل غيتس ذلك أيضًا في مقابلة له). إنها ببساطة قوة الحوسبة، التي برمجنا قواعدها بأنفسنا، والتي لم نعد قادرين على مواكبتها. إذا سمحنا للذكاء الاصطناعي بالسيطرة تدريجيًا على حياتنا اليومية، والتغلغل في جميع مناحي الحياة، بل وتوجيه تفضيلاتنا وقيمنا في اتجاهات يملئها مبرمجون مجهولون، فلن يكون هناك، على سبيل المثال، في الحياة الجامعية اليومية، أي مجال للبحث النقدي المستقل، أي للإبداع الفكري. "يتخلى" المتعلم عن تعلم التفكير. على سبيل المثال، يقوم موقع ChatGPT بالفعل بكتابة أوراق دراسية كاملة لطلاب يتظاهرون فقط، أي احتياليًا، بإدخال أسمائهم في المساحة المتبقية على صفحة العنوان. هذا لا يُقوّض التعليم الأكاديمي فحسب - وهي عملية متقدمة بالفعل - بل يُقوّض أيضًا قدرة المواطنين على تكوين جمهورٍ ناقد، أي أن يكونوا أكثر من مجرد مستهلكين سلبيين للمعلومات وموضوعاتٍ للتكييف السلوكي⁹. الديمقراطية، بالمعنى الذي بيّنته هذه المجموعة أمس، مُقوّضة.

ليس من قبيل المصادفة، بالمناسبة، أن كل دولة تحترم نفسها (أي، بالطبع، النخبة الحاكمة المعنية) تسعى إلى أن تكون في طليعة تطوير الذكاء الاصطناعي. أعلنت الصين الريادة العالمية في مجال الذكاء الاصطناعي هدفًا وطنيًا قبل عدة سنوات، كما علمتُ في مؤتمر عُقد في تشنغدو Chengdu حول

الموضوع المحوري "التعاون وتطوير مراكز الفكر والابتكار في الحوكمة العالمية" في نوفمبر 2018.

رابعاً

يقودني كل ما قيل إلى معضلة العمل الجماعي الناشئة. بغض النظر عن الزيادة الهائلة في القوة البدنية البشرية - مع كثرة الاحتمالات الجديدة للتحكم والتدخل في البيئة المادية المحيطة بنا، وكذلك في طبيعتنا - فإن التطورات التكنولوجية المذكورة أعلاه (أولاً) تضع البشر في اعتماد متزايد على الروابط والتفاعلات الاجتماعية التي لا يمكن فهمها - مع جهل تام بالمصالح والجهات الفاعلة الأساسية - وبالتالي تقوض عملية صنع القرار الديمقراطي. كما أنها (ثانياً) تضع البشر في حالة هشاشة لا يكون فيها استمرار وجود المجتمع المعني فحسب، بل كما أشير بالفعل فيما يتعلق بتكنولوجيا الأسلحة، الجنس البشري نفسه على المحك. (ثالثاً) فيما يتعلق بتطوير الذكاء الاصطناعي، فإن مستقبل النوع كمجتمع من الكائنات العقلانية، وبالتالي المستقلة، على المحك أيضاً - بغض النظر عن التهديدات المذكورة أعلاه.

بالإشارة إلى النقطة (1)، يتعلق هذا، من بين أمور أخرى، بقابلية البشر للتأثر ضمن الجماعة، والتي تتضاعف أضعافاً مضاعفة من خلال استخدام تكنولوجيا المعلومات (مثل "وسائل التواصل الاجتماعي الجديدة")، والآن الذكاء الاصطناعي. (ناقشتُ هذا الأمر بمزيد من التفصيل في محاضراتي في الدوحة مع بداية "الربيع العربي"، ولاحقاً في منتدى رودس، وكذلك في إسطنبول ويوكوهاما). يُعزز هذا التطور ظهور - وتقدم - قادة "شعوبيين" تتزايد "قدرتهم على الإغواء" بشكل هائل من خلال تكنولوجيا المعلومات، والذين بدورهم، يُغنون بحماسة الجماهير المضخمة رقمياً - وبذلك، يُخاطرون بفقدان الصورة الكبيرة والانغماس في دوامة الأحداث. يُلمح إلى بعض هذا - ربما عن غير قصد - في كتاب كونستانتين فون هوفمايستر المُعَيَّر "الترامبية الباطنية".

فيما يتعلق بالنقطة (2) - تكنولوجيا الأسلحة - يُقَمع الخطر (سياسياً وتكتيكياً جزئياً). فالهدف من استخدام مفاهيم مثل "السلام من خلال القوة" أو "إذا كان السلام من أجل الحرب" هو خداع الناس بشعور زائف بالأمن. ولكن هنا أيضاً، فإن احتمالية الدمار التي يُحدثها العقل (في شكل ذكاء تقني)

تُنشئ واقعا يُهدد فيه العقل بالتجاوز: لم يعد المرء قادراً على التراجع عن المسؤولية - بمعنى "التراجع"! ويتجلى هذا بشكل خاص في معضلة نزع السلاح النووي المستمرة (منذ ظهور هذه الفكرة!) - ويتجلى ذلك - في عبثية معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية (NPT)، التي لا يمكنها منع تراكم الأسلحة النووية بدلاً من نزعها. ومن الجدير بالذكر أيضاً المهزلة الأخيرة المحيطة بالوكالة الدولية للطاقة الذرية التي تتخذ من فيينا مقراً لها، والتي لم تتمكن حتى من إدانة الهجوم على المنشآت النووية لدولة طرف من قبل دولة أخرى طرف في معاهدة منع الانتشار النووي على الفور، وهو ما يتعارض مع المعاهدة والقانون الدولي بشكل عام - بالتعاون والتنسيق مع دولة ترفض بشكل أساسي نزع السلاح النووي وبالتالي لم تنضم إلى معاهدة منع الانتشار النووي منذ البداية.

نتيجةً للتطورات الثلاثة المذكورة آنفاً - تآكل الديمقراطية، وهيمنة المجمع الصناعي العسكري، وفقدان تقرير المصير الفكري - تُواجه البشرية خطر فقدان دورها كصانعة لمصيرها. إن من يعتقدون أنهم قادرون على التحكم في استخدام القوة التكنولوجية - سواءً في شكل أسلحة أو معلومات أو أنماط فكرية وجدلية - من خلال مناصبهم في السياسة والصناعة والأعمال، وبالتالي مواجهة هذا التوجه، إنما يستسلمون لوهم. في نهاية المطاف، يبقى التطور متروكاً للصدفة - مصادفة اللحظة، إن جاز التعبير - إذ لا أحد قادر على فهم العلاقات والتفاعلات المتزايدة التعقيد بين العمليات والتغيرات التي تُحدثها التكنولوجيا - الناتجة عن التدخلات في الطبيعة (البيئة) والمجتمع. العقل - ومعها، على وجه الخصوص، القدرة التي يُطلق عليها كانط العقل العملي، أي القدرة على الوزن الأخلاقي - يفشل في مواجهة تعقيد عالم الحياة الذي يُغيره العقل. إن العقل البشري معرض لخطر الفشل، وخاصة في ضوء تأثير الذكاء الاصطناعي على قدرتنا على التفكير، وهو ما يخشاه إيلون ماسك، من بين آخرين، حيث حذر في عام 2023 من خطر "تدمير الحضارة" من قبل الذكاء الاصطناعي.

بما أن التطورات التكنولوجية قابلة للتحكم أو التراجع من حيث المبدأ، ولكن ليس في الواقع الاجتماعي (الذي تغيّر بفعل التكنولوجيا)، فإن الاحتمال النظري لـ "التراجع" المذكور آنفاً، كما تصوره هايدغر قبل قرن تقريباً، لا يُمثّل سوى عزاء ضئيل. إن وقف تطوير الذكاء الاصطناعي لمدة ستة أشهر، الذي دعا إليه آلاف خبراء ومديري تكنولوجيا المعلومات - بمن فيهم ماسك - في 22 مارس 2023، وهو وقفة لدراسة الآثار والمخاطر المحتملة لهذه التكنولوجيا على البشرية على

المدى الطويل - لم يُحترم في الواقع. لقد تلاشى نداء "من كان ينبغي أن يعلم" دون جدوى. وتستمر العملية التي يُطلق عليها ماسك نفسه اسم "سباق التسلح بالذكاء الاصطناعي" دون توقف للتأمل.

بقدر ما كانت الدعوات العديدة لنزع السلاح العسكري، سواءً فيما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل أو نزع السلاح العام، غير فعالة بقدر ما كانت الدعوة المذكورة آنفًا والتي أطلقها "معهد مستقبل الحياة"، سواءً كانت التزامات قانونية دولية (معاهدات) أو إعلانات رسمية. ويتضح عبث كل هذا عندما نتذكر خطاب وودرو ويلسون في 5 مارس/آذار 1917، في بداية ولايته الثانية كرئيس للولايات المتحدة. في ذلك الوقت، أعلن رسميًا مبدأ "أن يقتصر التسلح الوطني على ضرورات النظام الوطني والأمن الداخلي". لكن التطورات على مدى المئة عام الماضية سارت في الاتجاه المعاكس. كان الشعار (وإن لم يُعلن) هو سباق التسلح بدلًا من نزع السلاح. حتى التغيير الدعائي في المصطلحات - أو ربما سحر الكلمات - لم يُغير هذه الحقيقة، على سبيل المثال، عندما أصبحت وزارة الحرب وزارة الدفاع بعد الحرب العالمية الأولى.

خامسا

إن قدرة الفرد على صياغة حياته بعقلانية (بالمعنى الفلسفي المذكور أعلاه) لا تضمن، للأسف، نفس الشيء للسلوك الجماعي. لقد انغمست الأمم مرارًا وتكرارًا في مغامرات حربية عمياء وحماسية - أم أنها انغمست فيها؟ إن خيبة الأمل التي أعقبت الكارثة، حتى عندما سقط الملايين، كانت غالبًا عابرة ومُقتَعة بشجاعة على جانبي الصراع. على أي حال، كانت الذاكرة التاريخية أقصر من أن تمنع نوبات عنف جديدة.

وينطبق الأمر نفسه على الآثار طويلة المدى للتطور التكنولوجي على الطبيعة والبيئة، والتي تُتجاهل حتى اللحظة الأخيرة. وهنا أيضًا، يفشل المنطق "النظري" و"العملي" عند مراعاة "الإنسانية" الجماعية. وكما نعلم من الأحداث والنقاشات المحيطة بمؤتمر الأمم المتحدة لتغير المناخ، ستظل إجراءات الدول الفردية غير فعالة بشكل عام إذا لم نتمكن من إقناع الجميع - حتى أكبرها وأقواها - بالعمل بطريقة موحدة ومستهدفة - وبالتالي التخلي عن المزايا قصيرة الأجل - وإذا مُنحت استثناءات متعددة لبعض كبار الملوثين، لأسباب تتعلق بـ "العدالة" المجردة.

إن التصريح الغامض الذي أدلى به هيدغر في مقابلة دير شبيغل عام 1966 والتي نشرت بعد وفاته - "فقط إله يستطيع أن ينفذنا" - يوضح عجز الحضارة التكنولوجية المتجذرة في عصر التنوير فيما يتصل بفشل العقل (التفكير) في مواجهة الديناميكيات المتأصلة وتعقيد التكنولوجيا "التي يسيطر عليها الفكر".

كلمة ختامية

ربما ينبغي لنا أن نضع أملنا في القوة الأخلاقية للأديان العظيمة في العالم - على أمل أنه في يوم ما في المستقبل - ونأمل ألا يكون بعيداً جداً - لن يبارك قادتها وكهنتها أسلحة شعوبهم، كما حدث للأسف في كثير من الأحيان، بل سيتحدون بدلاً من ذلك في نداء أكثر من مجرد نداء وظيفي إلى العقل - سبب يتطلب وقفة في مواجهة التقدم التكنولوجي الخارج عن السيطرة.

تجربتي كمنظمٍ لاجتماعٍ في روما قبل عدة عقودٍ تُلهمني الأمل. آنذاك (عام 1981)، كان من الممكن جمع مفكرين من العالمين الإسلامي والمسيحي - بمن فيهم ممثلون عن الكرسي الرسولي، ورئيس أساقفة القدس، ومفتي الأردن - للتأمل في القواسم المشتركة بين الديانات التوحيدية الكبرى. أذكر كلمات الأمين العام للمؤتمر الإسلامي، الحبيب الشطي: "... كان من الضروري التحلي بالشجاعة (وأنتم تملكونها) لسؤال البشر على حقيقتهم، وبطريقةٍ أعمق وأسمى، لتسهيل الحوار بينهم على أسسٍ لا تقبل الجدل". ما قصده الأمين العام بـ "العميق" و"السامي" هو ما أشرتُ إليه هنا بـ "العقل" - إلى جانب العقل وما يتجاوزه.

ومع ذلك، ثمة مخاوف من أن التأمل سيأتي بعد الكارثة، كما تُظهر التجربة. ولكن في عصر أسلحة الدمار الشامل، قد يكون الأوان قد فات حينها.

